

والطقس وفي آخر سطر من الرسالة يقول باستحياء : « ابعث بتحية أيضا الى زوجتي جميلة ، لا ٠٠ مثل هذا الزوج لن يكون سيد قلبها الحر الابي ، لا ، ليست له هذه الاغاني التي تطلقها في السهب كالغيوم الحليبية ، وهكذا التقت بدانيار الجندي الجريح العائد من الجبهة ، الصامت ، الحالم ، الهزيل كعود من القصب ، ولكنه يملك ذلك القلب الذي يستطيع ان يحتضن العالم ، وتلك الصلاة الروحية التي جعلته يتحدى شرطه الانساني في حادث المحطة ، وهام دانيار بجميلة ، ولكنه أخفى بين ضلوعه حبه المستحيل . وذات يوم ، وهما عبثان من تسليم الحبوب ، فاض الحب في قلبه فأخذ هذا الصامت الابدي ، هذا الخجول المتوحد يغني .

يقول راوي القصة « في هذه الاغنية تكاد لا توجد كلمات فهي تفتح النفس الانسانية بدون كلمات ، ولم اسمع مطلقا لا قبل هذه الاغنية ولا بعدها اغنية شبيهة بها : فهي ما كانت تشبه الاغنيات الكازاخية ولا القرغيزية ، انما بها شيء من هذه وتلك ، وموسيقى دانيار كانت تحمل في نفسها احسن الحان هذين الشعبين الاخرين وتفرغهما في اغنية واحدة فريدة ، فكانت تلك الاغنية اغنية الجبال والسهوب ، وهي ترتفع احيانا عالية مثل جبال القرغيز ، وحيانا تسير سهلة دون حاجز مثل سهب كازاخي ، كيف كان دانيار غنيا بالالحن الى هذه الدرجة ؟ ماذا حدث له ؟ ٠٠ وفجأة بدا لي كل شيء مفهوما ٠٠ لقد كان رجلا عاشقا ليس للانسان فحسب ، وانما للحياة والارض كلها . »

وفتح غناء دانيار امام جميلة كل العالم الارضي بجماله وقلقه ، وكانت عندما تصغي اليه تحس برغبة الي ان تلقي بنفسها الى الارض وتعانقها ، لقد شعرت بشيء جديد لا يقهر ، وهو ضرورة الاعراب عن نفسها ، واشراك الآخرين بفكرها وشعورها . وهكذا لقي هذا القلب الحر الابي نده الرائع ، وهكذا تركا كل شيء وانطلقا معا في ارض اللسه الواسعة يحدوهما هذا الحب المتألق وينير امامهما طريق المستقبل .

القصة لا تلخص ، فليست جميلة ودانيار وحدهما بطليها ، كل شخصية اخرى تتوهج بالحياة ، الطبيعة بجلالها تندغم بالصراع الانساني كبطل وليس كاطار مكاني او زمني . الاقاع يدور بشكل كوني ، اذا صح التعبير ، وهذه سمة شولوخوف ايضا ، ولكنها هنا مع شاعرية شرقية تأسر القلب ٠٠٠ يقول الكاتب الفرنسي اندريه فورمسير « من يقرأ ايتماتوف لن تبقى في ذاكرته عينا جميلة السوداوان وضفائرها اللزقة فقط ، ولا اغاني دانيار التي تعتصر القلب ، ولكنه سيتذكر طويلا كذلك ، الحقول والسهول الشاسعة ، والسبل الهادر ، والعربات المحملة بالحبوب وهي في طريقها الى البيدر او الى المحطات ، وسيتذكر كذلك عاصفة آب الليلية » . لا يمكن الا للواقعية ان تضم مثل هذا الشمسول الفريد ، هذه الشخصية التي تستيقظ من اعباء القرون الخاملة تحدوها الحماسة السى تحطيم كل الحواجز في طريقها ، تذكرنا ببعض سمات الدراما الاغريقية والشكسبيرية ، ودانيار يذكرنا ، وبالصحاح ، بملامح ابطال بايرون ، ولكن جميلة لم تكن ، مع ذلك أفضل روايات ايتماتوف ، لقد كان يعد نفسه لافاق اوسع عبر اروغ تعبير في روايته العظيمة « وداعا يا غولساري » .



قصته الثانية المهمة « شجيرتي في منديل احمر » اشرت تأثيرا كبيرا على الجيل الشاب ٠٠ ان بطل هذه القصة بائس بحد ذاته ٠٠ تجربته الميول الانانية واثبات الذات